حارس الأبواب

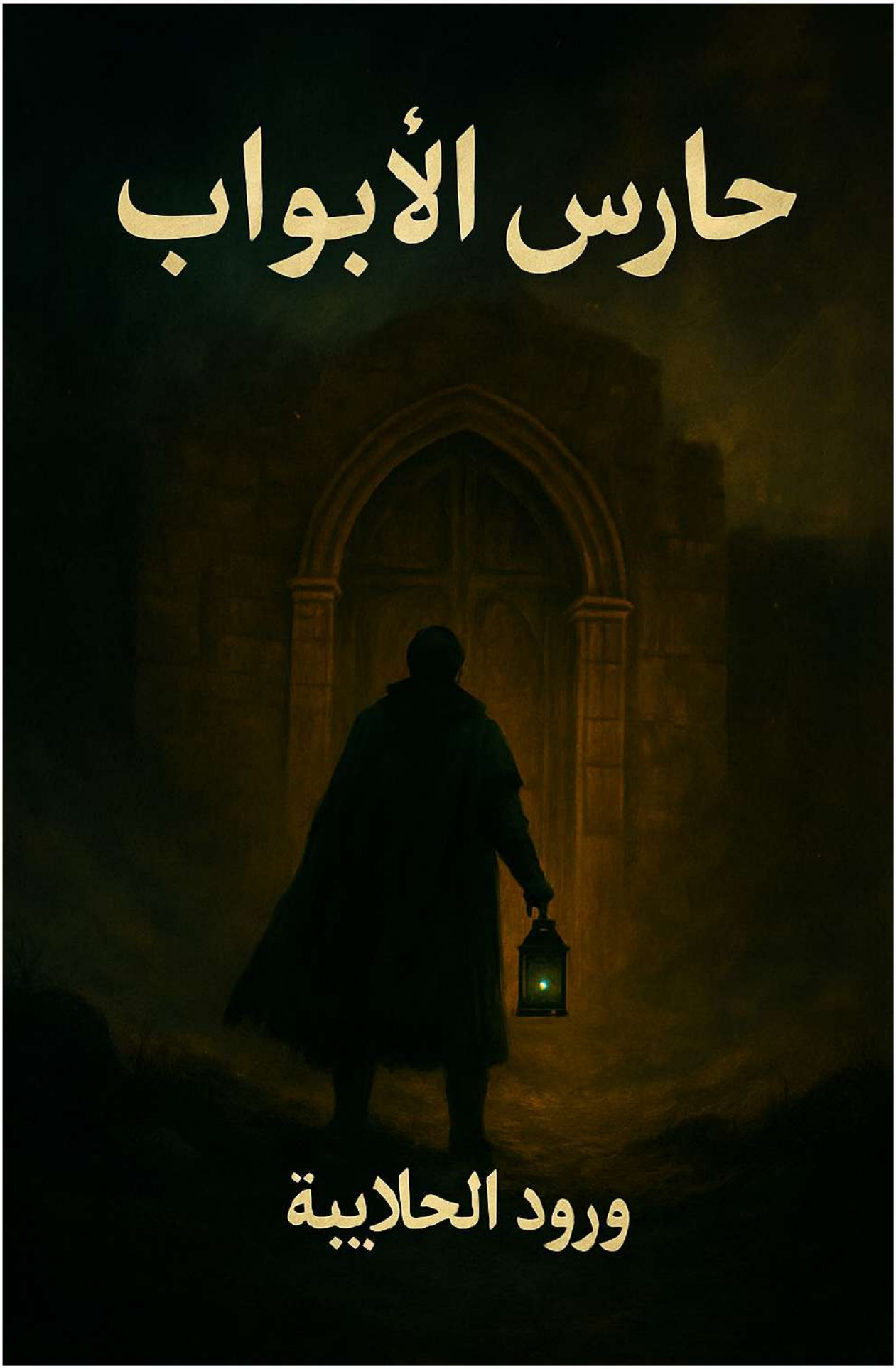

ورود الحلايبة

الفهرس

المقدمة.....١

الإهداء.....٢

الفصل الاول : رحلة البحيرة

همس الاوراق.....٤

لغز القصاصة ٧

طريق الرمال.....١٠

العيون في العتمة.....١٣

عند حافة البحيرة.....١٦

باب الماء.....١٩

خريطة الجدران.....٢٢

فتح الصندوق.....٢٥

المواجهة.....٢٨

سر المخطوطة.....٣١

اختيار الحارس..... .....٣٤
عهد الحارس..... ٣٧
الخاتمة.....٣٩
الخلاصة.....٤٠

المقدمة

في زمن قديم ، كان العلمُ مهدداً بظهور أبواب الظلال ، منافذ غامضة إذا فُتِحَت اجتاح منها ظلامٌ يلتهم القرى والمدن.

يظهر شابٌ يُدعى عدنان ، مُكلفاً بمهمة إلهية لإغلاق هذه الأبواب .

" إن النور لا يحرسه حجر ولا بطل.....بل قلوب مؤمنة مخلصة لله. "

إهداء إلى :

اهلي واصدقائي

اللذين كانوا نوراً في حياتي ، وإلى كل من يقرأ هذه الرواية .....

عسى أن يجد بين صفحاتها ما يضيء قلبه .

إلى الساعتين وراء المعنى بين رمال الزمن ، وإلى القلوب التي تفتش عن النور وسط متاهات الظلام.....هذه الحكاية تهديكم مفاتيح الحكمة، وتذكركم أن الطريق وإن طال ، فوجهتهُ الحق .

همس الأوراق

كان الفجر قد أرسل خيوطه الأولى على مآذن المدينة ، والهواء محمّل برائحة الخبز الطازج ودخان الحطب الأسود .

جلسَ عدنان في رُكنِ مكتبة المسجد ، تُحيطُ به رفوفٌ خشبية تحمل مئات الكتبِ والمصاحفِ والمخطوطات ، بينما الشيخ ابراهيم يتصفح مُجلداً نادراً في الفقه.

كان عدنان شغوفاً بالكُتب ، لكن عيناه هذه المرة توقفت عند كتابٍ متهالكٍ قديم ، أوراقهُ صفراءٌ رقيقة كأنها تآكلت من كَثرة الأسرار التي تحملها.

فتحهُ ببطء ، وإذ بين الصفحاتِ ورقةٌ صغيرة مطويةً بعناية وحذر.

قرأ السطر الاول :

مكتوباً بها :

"مَن وجد هذه الكلمات ، فليعلم أن الحق يُدفن أحياناً ، لكن الله لا يتركهُ في التراب " .

توقف تفكير عدنان للحظة ، فالكلمات لم تكن من نصوص العلماء المعروفة ، بل أشبهُ برسالةٍ سرية .

واصل القراءة :

"المخطوطة التي تكشف الحقيقة مخبأة حيث تلتقي الشمس بالماء..... حيثُ لا يجرؤ أحد أن يبحث عنها ."

ارتجف عدنان ، وأغلق الورقة بسرعة حين سمع وقع خطوات خلفه .

التفت، فإذا برجُلٍ غريب يقف بعيداً ، يراقبهُ بعينين حادتين.

لم يكن أحد يعرف هذا الرجل في المسجد من قبل.

اقترب الشيخ إبراهيم وسألهُ بهدوء :

عدنان ما بك ؟؟ وجهك شاحب اللون ؟!

تلعثم عدنان

- لا .....لا شيء يا شيخي كنتُ اقرأ فقط.

لكن قلبه كان يعلم .....انه قد بدأ طريقٌ لا عودة فيه.

لغز القصاصة

في الليلة نفسها ، لم يستطع عدنان النوم ، من شِدةِ تفكيره.

كانت عبارة : " حيث تلتقي الشمس بالماء " تدور في رأسه كأنها لغزٌ لا يهدأ.

جلسَ عند نافذة غرفتهِ في بيت والدهُ ، يراقب الأفق البعيد.

المدينة هادئة ، لكن عينيه لم تكفا عن البحث في الظلام عن ايةِ إشارة.

في الصباح الباكر، عادَ إلى المسجد ، وقرر أن يسأل الشيخ إبراهيم عن أي مكان يشبه هذا الوصف .

قال عدنان:

- شيخي ، هل هناك مكانٌ في مدينتنا يُقال عنهُ ان الشمس تلتقي فيه بالماء ؟؟

ابتسم الشيخ وأجاب :

- هذه عبارة يرددها أهل الصحراء عن بحيرة المرايا ، مكانٌ بعيد خلف الكثبان ، يعكس غروب الشمس كأنه يبتلعها في الماء.
لكن .....ذلك المكان مهجور منذ سنين، ويُقال إن الوصول إليه مليءٌ بالمخاطر .
شعر عدنان انهُ هذا هو الخيط الأول.

لكن قبل أن يسأل أكثر ، دخل المسجد الرجل الغريب الذي رآهُ بالأمس .
جلس في الصف الاخير ، وعيناه تنتقلان في كل زاوية.

انتهت الصلاة، وحين خرج عدنان من المسجد، وجد في جيبيه قصاصة ورق صغيرة لم تكن هناك من قبل.

فتحها، فإذا بها مكتوبة بخط متعجل:

"لا تبحث عن ما دُفن .....قبل أن تعرف مَن دفنهُ ."

التفت حوله فلم يرَ أحداً.

لكن قلبه أخبره أن رحلة البحث عن المخطوطة بدأت فعلاً.....

وأن الطريق لن يكون آمناً.

طريق الرمال

مع اول ضوء للشمس كان عدنان قد حسم أمره.

جمع بعض الزاد والماء، وأخذ عصاه القديمة ، وانطلق من باب المدينة الجنوبي متجهاً نحو الصحراء.

كان يعرف أن الطريق طويل ، وأنهُ ربما يعود خالي الفائدة.....أو لا يعود ابداً.

مع كل خطوة ، كانت الرمال تمتد أمامهُ بِلا نهاية ، والهواء الجاف يلسع وجههُ.

بعد ساعات من السير ، وصل إلى منطقة صخرية تُعرف باسم وادي السراب.

هنا كان اول اختبار له .

بين الصخور، لمح ظل شخص يراقبهُ من بعيد.
لم يكن متأكداً أهو رجلٌ أم مجرد خداع من السراب .

اقترب بحذر ، فإذا بحجرٍ كبير عليه نقشٌ غامض :

" من أراد النور.....فليدخل الظل" .

أحس عدنان أن هذا النقش ليس عابراً .

بدأ يبحث بين الصخور حتى وجد فتحة ضيقة ، تؤدي إلى ممر داخل الجبل.

تردد لحظة.....ثم تذكر الآية:

"وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ".

شد عصاه ودخل الممر.

كان الهواء بارداً والرطوبةُ تزداد، وصوتُ قطرات ماء يتردد في الظلام.

وفجاءة..... سَمِعَ حركة خلفه.

التفت بسرعة ، فرأى عينين تلمعان في العتمة .

العيون في العتمة

وَقفَ عدنان ثابتاً، يحدق في الظلام حيث تلمع عينان كجمرتين .

دقات قلبه تتسارع، لكنهُ حاول أن يتمالك نفسه.

رفع عصاه قليلاً وقال بصوتٍ ثابت:

- من هناك؟؟

لم يأتِ رد، لكن العيون بدأت تقترب ببطء.

خطوة.....ثم خطوة أخرى.....حتى خرج من الظل رجلٌ مسنّ ، لحيتهُ بيضاء ، وثيابهُ ممزقة ويداهُ ترتجفان، كأنهُ يعيش في هذا المكان منذُ زمنٍ طويل.

قال الرجل بصوتٍ غليظٍ وخشن :

- قليلون من يجرؤون على دخول هذا الممر....لماذا أتيت؟

أجابهُ عدنان بحذر :

- أبحثُ عن مكان يُقال لهُ بحيرة المرايا.

ابتسم الشيخ ابتسامة غامضة ثم قال :

البحيرة لا يصل إليها إلا مَن فَهِمَ معنى النور والظل.

ثم اشار إلى النقش على الجدار:

هذا الممر يقود إلى طريق مختصر ، لكن لا يسلكه إلا مَن يثق بالله ولا يخاف من ظلام الطريق.

اقترب الشيخ أكثر ، ومدّ لعدنان حجراً صغيراً أزرق اللون .

وقال: احملهُ معك ؛ فهو سيفتح لك باباً عند البحيرة.....لكن احذر، هناك من سبقك ويسعى أن يغلقه إلى الأبد.

وقبل أن يسأله عدنان عن معنى كلامه ، انطفأت القطرات ، وخفت صوت الرجل.....التفت عدنان فلم يجد احداً !!!!!!

امسك الحجر بقوة، وعلم أن كل خطوة قادمة ستقوده إلى سر أكبر.....وأخطر.

عند حافة البحيرة

بعد يومين من السير بين الكثبان والوديان، بدأ الأفق يتغير.

كان الغروب يلون السماء بألوان النار والذهب ، وفجأة لمح لمعان ماء في البعيد.

أقترب أكثر.....حتى رأى امامه بحيرة واسعة ، سطحها صافٍ كالزجاج يعكس قرص الشمس كأنها تبتلعها في أحضانها.

لكن المكان كان صامتاً على نحوٍ مُريب.

اقترب بحذر ، وأخرج الحجر الازرق الذي أعطاه إياه الشيخ الغامض.

فجأة لاحظ أن سطح الماء بدأ يتموج ، وكأن الحجر أثار شيئاً في أعماقه.

وبينما كان عدنان يخطو خطوة أخرى، سَمِعَ صوتاً خلفه :

- كنتُ أعلم انك ستصل إلى هنا.

التفت بسرعة، فرأى الرجل الغريب الذي كان يراقبهُ في المسجد !!!

كان يقف على الضفة المقابلة ، عيونه مليئة بالحدة وصوته مزيج من التهديد والتحذير.

- هذه البحيرة ليست لك.....المخطوطة التي تبحث عنها ليست من حقك .

رد عدنان بثبات:

إن كانت تحمل الحق ، فهي حق لكل من يطلبه .

ابتسم الرجل ابتسامة باهتة ، وأخرج من عباءتهُ شيئاً يشبه الخاتم الكبير وألقاه في البحيرة.

وفجأة، تغير لونُ الماء .....وصوت أشبه بالأنين بدأ يعلو.

خطى عدنان خطوة نحو الحافة ، وهو يشعر أن اللحظة الحاسمة قد بدأت.

باب الماء

تجمّد عدنان في مكانه وهو يرى مياه البحيرة تتحول إلى دوامة عميقة .

كانت الاصوات التي تصدر منها أقرب إلى همسات غامضة ، وكأنها تحاول أن تخبره شيئاً.

قبض على الحجر الازرق بقوة ، فأضاء الحجر بين يديه بضوء خافت انعكس على سطح الماء.

فجأة ظهرت على صفحة البحيرة دوائر مضيئة، تتشكل على هيئة كلمات.

" من أراد الحق.....فليدخل من باب الماء."

تذكر كلام الشيخ المسن عن الثقة بالله وعدم الخوف من الظلام وعرف ان هذه هي اللحظة التي تحدد إن كان مستعداً لإكمال الطريق.

لكن قبل أن يخطو ، دوّى صوت الرجل الغريب من الضفة الأخرى :

دخولك يعني أنك لن تعود كما كنت ! اعتقد أن البحيرة لن تخرجك سالماً.

نظر إليه عدنان بثبات وقال :

إن كان الطريق إلى الحق مليئاً بالمخاطر.....فليكن.

اقترب من الحافة ، ولامست قدماه الماء البارد.

ومع اول خطوة، شعر أن البحيرة تسحبه إلى الأسفل ، لكن لم يكن هناك خوف....بل إحساس عجيب بالطمأنينة.

كان آخر ما رآه قبل ان يغمرهُ الماء تماماً هو انعكاس الشمس على سطح البحيرة ، ومأها تبتسم له.

ثم.....ظلام تام

وعندما فتح عينيه، وجد نفسهُ في مكان آخر تماماً:

ممر حجري واسع، وعلى جدرانه نقوش قديمة تشبه خريطة.....

خريطة الجدران

فتح عدنان عينيه وهو يلتقط أنفاسه، يشعر بأن الارض تحت قدميه صلبة ، ليست ماءً بل حجراً بارداً.

رفع نظره فرأى نفسهُ في ممر حجري طويل سقفهُ مقبب وجدرانهُ مغطاة بنقوش قديمة مضاءة بضوء خافت يخرج من شقوق غير مرئية.

اقترب من الجدار الأول، فوجد عليه رسماً لمدينة قديمة تحيط بها أسوار ، وفي وسطها رمز يشبه الحجر الازرق الذي يحمله.

مد يدهُ ولمس الرمز، فاهتز الحجر في جيبيه وكأنهما يتواصلان.

على الجدار المقابل، كان هناك نقش لبحيرة المرايا ، وفوقها كلمات محفورة بخط واضح :

" المخطوطة في قلب الحق ، والحق في قلبي من صبر ."

تابع السير بحذر ، وكل بضعة أمتار كان يرى إشارة جديدة:

- سهم يشير إلى الامام
- رمز لشمس محاطة بهلال
- وكلمة محفورة " امتحان "

أحس عدنان أن الطريق لن يكون مجرد عبور بل سلسلة من اختبارات.

وفجأة، وصل إلى قاعة واسعة في نهاية الممر.

في وسط القاعة منضدة حجرية عليها صندوق خشبي صغير مغلق بإحكام.

اقترب بخطوات بطيئة ، لكن قبل أن يلمسهُ.....أغلقت أبواب القاعة بحجر ضخم، وبدأت الجدران تصدر صوتاً عميقاً كأنهُ إنذار.

فتح الصندوق

ارتجفت القاعة تحت قدمي عدنان ، والجدرانُ تزداد صدىً وكأنها تنذر بحدث عظيم.

تقدم نحو الصندوق الخشبي ، وقد لاحظ أن قفلهُ ليس عادياً، بل محفور عليه ثلاث كلمات:

" صدق - صبر – أمانة ".

لم يكن هناك مفتاح، لكن بجانب الصندوق كانت هناك ثلاث أحجار صغيرة:

- حجر أبيض ناصع.
- حجر أسود داكن.
- حجر أخضر زاهٍ.

فكر عدنان :

- هذه ليست احجاراً عادية.....لابد أن لكل واحدة منها معنى يرتبط بالكلمات الموجودة على القفل.

مد يده إلى الحجر الابيض ، فشعر بسكون وطمأنينة .
فقال: هذا يمثل الصدق
ثم أخذ الحجر الاخضر ، فشعر بهدوء داخلي وقوة على التحمل ، فعرف أنه الصبر.
أما الحجر الاسود ، فقد كان ثقيلاً، وكأن حَملهُ عبء كبير ، فعرف أنهُ رمز الأمانة التي تحتاج قوة للحفاظ عليها .

وضع كل حجر في مكانه المناسب على القفل.....وفجأة ، انفتح الصندوق ببطء ، وخرج منه ضوء ذهبي قوي ملأ القاعة.

اقترب عدنان فرأى مخطوطة ملفوفة بعناية، لكن قبل أن يمد يده.....سمع صوتاً مألوفاً خلفه يقول :

كنتُ أعلم أنك ستصل إلى هنا.....لكن المخطوطة لن تخرج معك.
التفت، فإذا الرجل الغريب يقف على باب القاعة ، وهذه المرة عينيه تلمعان بخطر أكبر.

المواجهة

وقف عدنان أمام الصندوق المفتوح ، وعيناه على المخطوطة، لكن صوتهُ الداخلي حذرهُ قائلاً:

" الخطر ليس في الصندوق....بل في من يريده"

تقدم الرجل الغريب بخطوات ثابتة ، وصوتهُ مليء بالتهديد:

سلمني المخطوطة فهي ليست لك.....ولن تفهم ما فيها.

رد عدنان بثبات:

ومن أنت حتى تمنعني؟

ضحك الرجل بسخرية ، ثم قال :

انا آخر من تبقى من الحراس القدامى....نحن من أوكل إلينا حماية هذه المخطوطة منذ مئات السنين.

توقف لحظة ثم أضاف بصوت منخفض

لكنها الآن أصبحت خطراً.....لأن من يقرأها قد يغير موازين اشياء لا يجب أن تتغير.

امسك عدنان بالحجر الأزرق ورفعهُ ، فاهتزت جدران القاعة قليلاً ، وأضاءت النقوش من حوله.

- الحراسة لا تعني الحجب ، إن كانت المخطوطة تحمل الحق فهي أمانة.....والأمانة لا تُدفن.

اقترب الرجل الغريب أكثر ، لكن قبل أن يمد يده، انبعث نور قوي من المخطوطة كأنه يدافع عن نفسه.

تراجع الرجل خطوتين ، وصوته هذه المرة لم يكن مليئاً بالتهديد بل بالتحذير :

- أفتحها.....وستعرف أن الحق أثقل مما تظن.

سكتت القاعة للحظة ، وعدنان يمد يده ببطء نحو المخطوطة.....

سر المخطوطة

مدّ عدنان يده وأمسك المخطوطة.

كانت ثقيلة على غير المتوقع ، وكأن الكلمات بداخلها تحمل وزن القرون.

جلس على ركبتيه ، وبدأ يفتح الرباط القديم ببطء.

مع انفتاحها ، انبعث نور ذهبي هادئ انتشر في القاعة.

لكن لم تكن المخطوطة مليئة بالكلمات كما توقع، بل كانت صفحاتها تحوي خرائط ورموزاً ، وبعض الآيات القرآنية التي تشير إلى الصبر، الصدق ، والأمانة.....نفس الكلمات التي فتحت الصندوق.

بين الصفحات الاخيرة ، وجد عبارة مكتوبة بخط واضح :

" ليس من وجد الحق هو الحارس.....بل من عاش به"

أدرك عدنان أن المخطوطة ليست كنزاً مادياً ولا سلاحاً بل وصية ومعرفة ، وطريق يهدي من يقرأها إلى فهم أعمق للحق ، وربما أسرار أماكن أخرى منسية .

اقترب الرجل الغريب ، هذه المرة بلا تهديد ، ونظر إلى المخطوطة بعينين فيهما حزن:

- كنت أظن أنني حاميها.....لكن يبدو أنك الحارس الجديد.

وقبل أن يسأل عدنان عن معنى كلامه ، بدأ الممر يهتز وكأن المكان بأكمله يستعد للإغلاق.

أدرك أن عليه الاختيار : إما أن يأخذ المخطوطة معه ويخرج.....
أو يبقى لحماية ما تبقى من السر.....

اختيار الحارس

اهتزت القاعة من جديد ، والغبار بدأ يتساقط من السقف .

عدنان يقف ممسكاً بالمخطوطة ، وقلبه يشتعل بأسئلة لا تنتهي. نظر إلى الرجل الغريب وسأله بصوت مرتفع وسط الضجيج:

- إذا خرجت بالمخطوطة.....هل سيتوقف هذا المكان؟؟

أجابه الرجل وهو يثبت نفسه على الارض :

- المكان سيغلق.....لكن المخطوطة ستبقى امانتك وحدك ، ثم أضاف وهو ينظر مباشرة إلى عيني عدنان :

- السؤال ليس هل تستطيع الخروج....بل هل أنت مستعد أن تتحمل ما تحملهُ؟؟

تذكر عدنان كلمات النقش : " ليس من وجد الحق هو الحارس.....بل من عاش به ."

أدرك أن المخطوطة ليست كتاباً يقرأ ثم يغلق بل عهد ومسؤولية.

قرر الخروج ، لكن ما إن اقترب من باب القاعة حتى ارتفعت أمامهُ بوابة حجرية ضخمة منقوش عليها ثلاث دوائر مضيئة.

في كل دائرة رمز من نفس الكلمات : صدق ، صبر ، أمانة.

أدرك أن هذه العقبة الاخيرة.

وضع الحجر الازرق في الدائرة الاولى ، فتوهجت كلمة " صدق " . ثم وضع يده في الدائرة الثانية وأغلق عينيه مستحضراً صبره طوال رحلته ، فتوهجت الكلمة الثانية.

أما الثالثة، ففتح المخطوطة ووضع جزءً منها على الدائرة الثالثة ، فانتشر نور أعمّ المكان ، وبدأت البوابة تفتح ببطء.

لكن قبل أن يصبر ، التفت فرأى الرجل الغريب يقف بعيداً مبتسماً ابتسامة هادئة لأول مرة ، ثم قال :

- تذكر.....الحارس لا يعرف باسمه بل بأثره.

عهد الحارس

خرج عدنان من البوابة ، والضوء الذي أمامهُ كان مختلفاً عن أي نور رآه من قبل .

خطا خطوة واحدة.....فإذا به يجد نفسهُ عند ضفاف بحيرة المرايا من جديد ، لكن الماء هذه المرة كان ساكناً تماماً ، وكأنهُ لم يشهد شيء مما حدث.

امسك بالمخطوطة بين يديه ، وشعر أن وزنها أصبح اخف.....لكن قلبهُ أصبح أثقل بالعهد الذي حملهُ.

التفت خلفهُ فلم يرَ الرجل الغريب ولا الممر الحجري.....فقط نسيم هادئ يمر فوق الماء.

جلس على الارض قليلاً ، وفتح المخطوطة ، فرأى في الصفحة الأخيرة عبارة جديدة لم تكن موجودة من قبل :

" حين يخرج الحارس من الظلال.....تبدأ الرحلة الحقيقية ."

ابتسم عدنان وهو يدرك أن مهمتهُ لم تنتهِ ، بل بدأت للتو.

نهض من مكانه، وأدار ظهره للبحيرة ، متوجهاً نحو الأفق حيث تنتظره مدن وقرى قد تحتاج إلى ما تحمله هذه المخطوطة.

كان الليل يقترب ، لكن قلبه مليء بنور داخلي.... نور الحق الذي تعهد أن يحمله ، مهما كان الطريق طويلاً.

وهكذا.....انتهت رحلة البحيرة .....وبدأ عهد الحارس.

الخاتمة

وهكذا ، بعد أن هدأت العواصف وذبلت الصرخات في ذاكرة الزمن ، لم يتبقى سوى الصمت.....ذلك الصمت العميق الذي لا يحكي شيئاً ، لكنه يحمل بين طياته كل شيء.

رحلوا ، تغيروا ، عادوا ، أو ظلّوا في مكانهم ، لكن الحكاية – كما كل الحكايات العظيمة- لم تنته بعد.....

الخلاصة

الرواية تنتهي بصمتٍ يوحي بأن القصة لم تنتهي حقاً ، بل استقرت في قلب القارئ ، تاركه أثراً عميقاً . فبعض النهايات ما هي إلا بدايات مُقنعة ، تنتظر أن تُروى من جديد .